موقف النصارى من عيسى عليه السلام ومنافحة القرآن عنه

بقلم د/ سيد الأمين السلطاني*

تمهيد

لقد كثرت الأقاويل وتضاربت الآراء، وتشعبت الأفكار، وتباينت وجهة الأنظار حول كنه روح الله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث تخبط فيه معاشر المثلثة [1] ، كما تخبط المغضوب عليهم [2] .

إن مما يدعوا إلى الاستغراب أن النصارى تفرقوا إلى ثلاث فرق، وكذلك اختلف المسلمون فيما بينهم هل رفع سيدنا عيسي عليه السلام بالجسم أم بالروح، أم بهما ؟ .

لذا رأت إدارة المجلة ضرورة نشر هذه الموضوع لما له من أهمية بالغة في عقيدة المسلمين من مبدأ القول إن "الساكت على الحق شيطان أخرص" .

إدارة التحرير

---

*) مدير تحرير المجلة.

[1] – النصارى.

[2] – اليهود .

إن قضية حياة روح الله سيدنا المسيح عليه السلام قضية يخبط فيها اليهود كما يخبط فيها النصارى بالظنون والأوهام ، وحنى المسلمون.

يزعم معاشر المثلثة أن الإنسان جاء إلى الوجود ملطخا بالخطيئة، وأن هذه اللطخة – التي لم يكن مسؤولا عنها- كانت بحاجة إلى من يكفر عنها.

ويقولون أن من صفات الله تعالى العدل والرحمة كان على الله بمقتضى هاتين الصفتين أن يعاقب بنى آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبويهم في الجنة، والذي بسببه استحق هو وأبناؤه الدحر والإقصاء عن رحمة الرحمن.

يدعون أنه لم يكن هناك بد للجمع بين هاتين الصفتين -العدل والرحمة- إلا عن طريق تقديم ابنه الوحيد أي عيسى بحيث يظهره على شكل بشر، ثم يصلبه ظلما وتكفيرا عن أخطاء البشرية جمعاء.

ويزعمون أن الله قدر على يسوع [1] ليخلص البشرية من الذنب الذي اقترفه أبويهم آدم وحواء حتى يتسنى للنصارى أن يعيشوا في الآخرة عيشة هنيئة محفوفة بالترف والنعم.

ولقد كان يسوع في نظرهم في أهبة الاستعداد وغايته لهذه التضحية المقدسة-في نظرهم والبشعة في نظر المسلمين- قبل بدء الخليقة، ويقولون إن الله تعالى اتحد في يسوع، فقدر لنفسه أن يشنق نفسه ليخلص الجنس البشري من خطيئتهم الأولى، وليكفوا رقابهم منها، وكذا من الخطايا التي سيقترفونها وسيجترحونها بعد نزولهم إلى الأرض.

وقد ورد في إنجيل يوحنا ٣ : ١٦ "

---

[1] – اسم سرياني للمسيح عليه السلام يأتي بمعنى المسح . والله أعلم .

" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية " [1] .

من الذي أجبر تعالى أن يفرض على نفسه العدل والرحمة، ثم البحث عن سبيل وطريق للجمع بين هاتين الصفتين ؟ !!! .

أيها النصارى تدعون أن صلب المسيح لم يكن إلا لتحقيق العدل والرحمة، فأية رحمة في تعذيب غير مذنب، وأي عدل في مؤاخذة برئ وصلبه؟، حتى لو قلتم إن عيسى هو الذي قبل ذلك. نقول إن المنتحر أو المعذب نفسه من دون إكراه يعد قاتلا لنفسه في نظار جميع الأديان السماوية.

وإذا كان السيد المسيح ابن الله. هل يعقل أحد أن الأب يرضى على تعذيب ابنه من دون أن يرتكب أي خطأ ؟ وأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان ابنه المحبوب يضطهد ويلاقى صنوف العذاب والسخرية على أيدي اليهود ؟ .

نقول لمعاشر المثلثة أنكم تدعون أن ذرية آدم أدحرهم الله تعالى من الجنة بسبب ذنوب أبويهم. ففي أي شرع يعاقب الأحفاد بأخطاء الأجداد والعكس؟. حتى إن كتابكم المقدس الذي تتبجحون بصنته ينص على أن لا يقتل أحد بخطأ أحد، بل كل إنسان يؤاخذ على أخطائه.

حيث ورد في سفر التثنية ٢٤:١٦ " لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، فكل إنسان بخطيئته يقتل " [2] .

يقول الشيخ رحمة الله الهندي رادا على زعم المسيحيين : "أن عيسى صلب تكفيرا لأخطاء البشرية" إن كون الموت الصليبي كفارة الذنب

---

[1] – بين الإسلام والمسيحية لأبى عبد الله الخزرجي ٥٩ .

[2] – نقلا عن كتاب" المناظرة بين الإسلام والنصرانية " ١٢١.

غير معقول يقينا، لأن المراد بهذا الذنب على زعمهم الذنب الأصلي الذي صدر عن آدم عليه السلام لا الذنب الذي يصدر عن أولاده، ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي، لأن الأبناء لا يؤاخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس، بل هو خلاف العدل ..."[1].

ففي الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال عليه السلام " النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه" [2] .

هب أن أحدا من البشر ذهب إلى المحكمة متلبسا بجريمة قتل ....، يده ملطخة بالدم ....، وثبتت إدانته من كل وجه ....، واعترف بأنه القاتل.

أفيحق له أو لمحاميه، أن يذود عنه قائلا: أنا القاتل، وأنا الذي ذبحته، وأنا...الخ، ولكن يتحمل عنى مسؤولية هذه الجريمة فلانا فحاكموه هو وحاسبوه و ... و..؟. هل يعقل هذا في عرف البشر ؟ . كلا.

فإذا كان البشر لا يرضون لقضاتهم ولا لقضائهم -مع أن قضاء البشر يحيط به القصور والفتور من كل وجه- أفيجوز ذلك في عدالته سبحانه؟.

إن بنى البشر يرفضون ويأبون -بكل أبعاد الكلمتين- أن يكون في قضائهم وساطات وامتيازات. ثم نقبل بالنسبة لله أن يكون في قضائه وساطة، وامتياز في الدم أو الجنس أو اللون.

لو افترضنا أن الله جل وعلا أنزل المسيح ليصلب تكفيرا عن أخطاء البشرية جمعاء، فلماذا لم تتم هذه العملية بيسر وسهولة من دون أن تحدث ضجة أو شيء من هذا القبيل ؟، ولماذا لم يقبلها المسيح بسعة

---

[1] – إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٣٤٨ و ٣٤٩ .

[2] – المرجع السابق .

صدر ورحب من دون يتعرض للمحاكمة ؟ ولماذا بكى المسيح واستعان عند صلبه ؟ ولم ....؟ ولم ....؟ .

إذا تتبعنا كيفية صلب المسيح – على حد زعمهم – نجد أنه صلى طلبا للنجدة مع الخنوع بالدموع، حيث ورد في لوقا ٢٢ : ٤٤ " وإذا كان في جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض". ماذا يمكن أن نتوقعه بالنسبة لهذه الصلاة النابعة من سميم قلب ابن وحيد لأب رحيم ؟ [١] .

إن مثل هذه الصلاة النابعة من عميق القلب وقعره، ومثل هذه الصيحات المخضبة بالدماء، ومثل هذه اللوعة، ومثل ذلك الأسى تكاد تنادى الله فوق عرشه أن تحل عنايته.

إن الله سمع دعائه فاستجاب كما سمع واستجاب لدعوات سيدنا إبراهيم عليه السلام وغيره من الرسل والأنبياء عليهم السلام.

لقد ورد في إنجيل لوقا "ظهر له ملاك من السماء يقويه" [٢] أي تناقض أوضح من هذا ؟ يدعو يسوع ربه أن ينقذه، وتؤكد نصوص الإنجيل أن الله استجاب دعائه، ثم يصرون على أنه قد مات على الصليب، وهو مناقض لاستجابة الله تعالى دعاء عيسى عليه السلام، ولو افترضنا هي خطة الله في التكفير من خطايا البشر وزلاتهم. فإن الله حاشا لله قد تنكب عن الصواب. إن الممثل الشخصي لله قد كان حريصا أشد الحرص على أن لا يموت حيث بكى، واستجار من الله .

اختلاف الناس في كنه المسيح :

لقد اختلف الناس سلفا وخلفا في موضوع قتل المسيح وصلبه إلى فئات عديدة حتى وقع النزاع بين فرق اليهود والنصارى أوردها بإيجاز:-

---

[١] – صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للديدات ١٥ بتغيير طفيف .

[٢] – صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء للديدات ٧٤ .

قالت اليعقوبية:كان فينا "الله" أي عيسى ما شاء الله ثم صعد إلى السماء.

قالت النسطورية: كان فينا "ابن الله " ما شاء الله ثم رفعه الله إليه.

وقالت الأمة الإسلامية:"كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه "[1].

اختلاف النصارى واليهود فيما وقع الصلب والقتل

ثم اختلفوا فيما بينهم – أهل الكتاب– فيما وقع الصلب والقتل، ها أسرد تفرقهم :–

◊ قالت الملكانية: وقع الصلب والقتل على المسيح بكمال ناسوته ولاهوته.

◊ قالت النسطورية: صلب عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.

◊ قالت اليهود: قتلوه لأن الخائن الذي قام بالدور البارز في قتله– على حد زعمهم– كان يهوديا [2] .

اختلاف المسلمين فيما بينهم في ما تم الرفع ؟ .

اختلف المسلمون فيما بينهم هل تم الرفع بالروح أم بالجسم أم بهما معا؟.

---

[1] – تفسير ابن كثير ٥٨٨/١ .

[2] – تفسير القرطبي ٨/٦ .

طائفة تقول بأن الرفع تم بالروح فقط ، وطائفة تقول بأن الرفع تم بالجسم والروح معا .

إذا أمعنا النظر في الأدلة التي تتحدث عن حياة المسيح نجد أن القول الثاني أقرب إلى الصواب، هاهي أدلة الفريقين :-

أدلة الفريق الأول القائلين بأن الرفع تم بالروح فقط .

قال تعالى ﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ﴾ الآية [1] .

وقال جل وعلا ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾الآية [2].

يقولون إن عيسى بعد ما أنقذه الله تعالى من اليهود عاش فترة من الزمان حتى استوفى الله أجله، ثم أماته الله ميتة عادية طبيعية. وبالتالي رفعت روحه إلى السماء كما ترفع أرواح النبيين والصديقين والشهداء، وقد ورد النص برفع عيسى مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال بصفة كونه نبيا تكريما لمكانته. فذكر الله نجاته ثم مكانته التي استلزمت رفع روحه.

ويدعون أن قوله عز وجل ﴿بل رفعه الله إليهِ... ﴾ إنها تحقيق الوعد الذي تضمنه قوله تعالى ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ﴾ .

يقولون إن قوله سبحانه ﴿ بل رفعه الله إليهِ... ﴾ لم يذكر فيها الوفاة والتطهير. بل اقتصر على ذكر الرفع .فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر في قوله ﴿إنى متوفيك ﴾ جمعا بين الآيتين ، ويرون أن الرفع معناه رفع المكانة والجاه، واستدلوا بما ورد من ذكر الرفع في القرآن بهذا المعنى :

---

[1] – سورة آل عمران آية ٥٥ .

[2] – سورة النساء آية ١٥٨ .

قال جل وعلا ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ..﴾الآية [1] ، وقال عز وجل ﴿ نرفع درجات من نشاء﴾ الآية [2] .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ ورفعناه مكانا عليا﴾ [3]

وقال جل شأنه ﴿ ... يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ الآية [4] .

إذن فالتعبير بقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾، وبقوله ﴿ ورافعك إلى ...﴾ كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفى قوله ﴿ إن الله معنا﴾، وفى قوله ﴿ ....عند مليك مقتدر﴾ كلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفاظة، والدخول في الكنف المقدس .

وقد أيد هذا الرأي جماعة من العلماء سلفا وخلفا وها هي الآراء :-

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿إنى متوفيك﴾ أي مميتك وهو مروى عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق قالوا:المقصود أن لا يصل بأعدائه من اليهود إلى قتله، ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء، وقوله ﴿ ورافعك إلي ﴾ أي رافع مرتبتك، ورافع روحك إلي ، ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾أي مخرجك من بينهم. و فرقك بينك وبينهم.

<u>اختلاف أهل التأويل في قوله ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾</u>

لقد بين أهل التأويل في قوله ﴿ ومطهرك من الذين كفروا﴾ وجهان وهما:-

أ - الذين اتبعوا عيسى يكون فوق الذين كفروا وهم "اليهود" بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة .

---

[1] - سورة النور آية ٣٦ .
[2] - سورة يوسف آية ٧٦ .
[3] - سورة مريم آية ٥٧ .
[4] - سورة المجادلة آية ١١ .

ب – المراد بالفوقية الحجة والدليل .

وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل هذا يـدل على المبالغة في إعلاء شأنه ، وتعظيم منزلته، ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ المراد بالفوقية بالحجة والبرهان .

ثم يقول واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله ﴿ ورافعك إلى ...﴾ هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة وبالرفعة [1] .

ويقول الإمام الألوسى صاحب تفسير "روح المعاني"إن قوله سبحانه وتعالى ﴿ ..إنى متوفيك﴾ معناها "على الأوفق إني مستوف أجلك ومميتك موتا طبيعيا حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك" [2] .

والرفع الذي كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا، وقد جاء بجانبه قوله تعالى ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ يحتمل أن يكون تطهيره عليه السلام بتبعيده منهم بالرفع، ويحتمل أن يكون بنجاته مما قصدوا فعله به من القتل بما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم[3].

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن أن المراد ﴿من﴾ الموصول الوارد في قوله ﴿ الذين كفروا ﴾ اليهود والنصارى والمجوس وكفار قومه، ﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾ قال قتادة والحسن وابن جريج وخلق كثير هم أهل الإسلام اتبعوه على ملته، وفطرته من أمة محمد ﷺ

---

[1] – التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ٦٩/٨ .

[2] – تفسير روح المعاني ١٧٩/٣ .

[3] – تفسير روح المعاني للألوسى ١٧٩/٣ .

﴿فوق الذين كفروا﴾ وهم اليهود أو سائر من شمله هذا المفهوم. فإن المؤمنين يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الأمر[1].

أدلة الفريق الثاني القائلين بأن الرفع تم بالجسم والروح :

اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة الوارد في قوله جل وعلا ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا.. ﴾ الآية، قال الحسن وابن جريج معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت، كقول القائل توفيت مالي من فلان أي قبضته[2].

يقول الإمام ابن جرير الطبري في قوله ﴿إني متوفيك﴾ قال ويعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن البصري قال: رسول الله ﷺ "لليهود إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة"[3].

وقال آخرون : "معنى ذلك إني قابضك من الأرض، فرافعك إلي"[4].

فهذا فيه دليل على أنه يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين. فإن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء. فعلم أنه ليس في ذلك خاصية وميزة، ومعنى قوله ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾ أي قابضك من الأرض حيا إلى جواري، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

واستدلوا بأقوال عديدة من بينها قول كعب الأحبار:"ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه داعيا ومبشرا يدعوا إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه، وكثرة من كذبه. شكا ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه إني متوفيك ورافعك، وليس من رفعته عندي ميتا،

---

[1] – المرجع السابق ١٨٣/٣ .

[2] – تفسير الطبري ٢٠٣/٣ .

[3] – تفسير الطبري ٢٠٢/٣ .

[4] – تفسير الطبري ٢٠٢/٣ .

وإني سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحي، قال كعب الأحبار وذلك يصدق حديث رسول الله ﷺ المروي عن عبد الله بن عمر وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال:قال رسول الله ﷺ لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها ؟ " .[1]

القول الراجح :

إن مسألة نزول المسيح ابن مريم عليه السلام مما صدعت به النصوص القرآنية، وتواترت فيه الأحاديث النبوية عن الرسول الأكرم ﷺ وأجمعت عليها الأمة مذ عهد النبي إلى يومنا هذا بحيث لا يمكن التأويل، ولا يسع فيه القال والقيل .

إن الرسول ﷺ بين نزول عيسى قبيل قيام القيامة بأساليب شتى ، وبصيغ متنوعة تارة عبر عنه بلفظ الخروج، وتارة أخرى بلفظ النزول كقوله ﷺ " وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا" [2]، وتارة بلفظ البعث كقوله ﷺ "إذ بعث الله المسيح ابن مريم"[3]،وقوله ﷺ "ويبعث الله عيسى ابن مريم"[4].

وها أسرد الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع :-

أولا : من القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾[5] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك بعد نزوله في آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفا.

---

[1] – كنز العمال ٢٠٣/٧ .

[1] - صحيح مسلم شرح النووي كتاب الإيمان باب "نزول عيسى بن مريم عليه السلام" ١٩٢/٢ .

[2] – صحيح مسلم شرح النووي باب " ذكر الدجال " ٦٧/١٨ .

[4] – نفس المصدر السابق ٧٦ .

[5] – سورة النسآء آية ١٥٩ .

أن إيمان النصارى به عليه السلام لا ينفعهم وقتذاك لفوات الأوان.وقد جعل تعالى نزوله عليه السلام أمارة من أمارات الساعة الكبرى قال سبحانه وتعالى ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾[1].

ثانيا : من السنة النبوية عليه الصلاة والسلام :

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي خيثمة زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر المكي" واللفظ لزهير"، قال إسحاق أخبرنا، وقال الآخر حدثنا سفيان بن عيينة عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:"اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة، قال:أنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم "[2].

عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خير من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو

---

[1] – سورة الزخرف آية ٦١ .

[2] - صحيح مسلم شرح النووي كتاب "الفتن وأشراط الساعة " ٢٨/١٨ .

هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ [1] .

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من الدجال، وقد قلت فيه قولا لم يقله أحد قبلي إنه آدم [2] جعد ممسوخ عين اليسار على عينه ظفرة غليظة، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص، ويقول أنا ربكم. فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه، ومن قال: أنت ربي فقد افتتن. يلبث فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدقا بمحمد ﷺ على ملته إماما مهديا، وحكما عدلا فيقتل الدجال " [3].

عن أبي هريرة أنه قال : قال : رسول الله ﷺ "والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء،والتباغض، والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد " [4] .

وأخرج أيضا بسنده عن الوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر عن حجاج عن ابن جريج قال:اخبرني أبو الزبير أنه سمع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن

---

[1] – صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ٦/ ٣٨٣، المستدرك على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم " باب " نزول عيسى عليه السلام " ٤٧٨/٤ .

[1]- أي شديد السمرة أقرب إلى السواد .

[2]- مجمع الزوائد باب " ما جاء في الدجال " ٣٣٦/٧ .

[3]– صحيح مسلم شرح النووي كتاب الإيمان باب " نزول عيسى ابن مريم " ١٩٢/٢ .

مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة" [1].

وقال الرسول ﷺ "أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ..." [2].

عن أنس رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ "من أدرك منكم عيسى فليقرئه منى السلام". [3] قال رسول الله ﷺ "كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها" [4].

وفي رواية "ليدركن الدجال قوما منكم أو خيرا منكم، ولن يخزي الله أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها" [5].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم على ذروة أفيق بيده حربة ، يقتل الدجال" [6].

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها فأول من يتبعه النساء فيؤذونه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق فعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم " [7].

---

[1] – صحيح مسلم كتاب الإيمان باب "تزول عيسى ابن مريم حاكما" ١٩٣/٢.
[2] – صحيح مسلم شرح النووي باب " ذكر الدجال " ٦٧/١٨.
[3] – أخرجه الحاكم وصححه ٥٤٥/٤، كنز العمال ٠٤/١١ .
[3] – كنز العمال ٣٣٤/٧ إلى ٣٣٧.
[4]- كنز العمال ٣٣٤/٧ إلى ٣٣٧.
[5]- كنزل العمال ٦١٨/١٤.
[6]- مجمع الزوائد كتاب الفتن باب "ما جاء في الدجال" ٣٤٩/٧ .

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، واشفع سيدرك رجال من أمتي عيسى ابن مريم ويشهدون قتال الدجال"[1] .

وقال الرسول ﷺ لزوجته أم المؤمنين -عائشة- رضي الله عنها عندما أبدت رغبتها في أن تدفن بجواره الشريف "وأنى لي بذلك الموضع ، ما فيه إلا موضع قبرى وقبر أبى بكر وعمر وعيسى ابن مريم"[2].

بعد ما فرغ الإمام الطبري من سرد أقوال المفسرين وآرائهم حول رفع الله تعالى المسيح -عليه السلام- وعدمه بين الراجح-كالعادة-بقوله "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال " إني قابضك من الأرض ورافعك إلي" لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال:ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها،-اختلف الرواة في مبلغها-، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه ".[3]

وعنه أيضا أنه قال"إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم -عليه السلام-، فإن عجل بي موت، فمن أدركه فليقرئه منى السلام "[4].

وفى رواية أيضا: "إني لأرجو إن طالت بي حياة أن أدرك عيسى ابن مريم . فإن عجل بي موت. فمن أدركه منكم فليقرئه منى السلام"[5] .

---

[1]- المرجع السابق .

[2]- مسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لجلال الدين السيوطي ٤٠ .

[3] - تفسير الطبري ٣/٢٠٤ .

[4] - مسند الإمام أحمد ٢/٢٩٨ ، ومجمع الزوائد باب "نزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم" ٨/٥.

[5]- مسند الإمام أحمد ٢/٢٩٩، ومجمع الزوائد باب " نزول عيسى ابن مريم عليه السلام " ٨/٥ .

وقال عليه السلام " وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل المال حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا. فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلى المسلمون عليه ويدفنونه " [1].

وفى سنن أبى داود وابن أبى شيبة وأحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليس بيني وبينه نبي يعنى عيسى ابن مريم، وإنه نازل . فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل. فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال. فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون"[2] واللفظ لأحمد بن حنبل .

عن ابن المسيب رضي الله عنه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا، وإماما

---

[1] – مسند الإمام أحمد ٢ / ٤٣٧ .

[2] – مسند الإمام أحمد باب " خروج الدجال " ١٧٧/٦ .

مقسطا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبلها أحد" [1] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال :رسول الله ﷺ كيف بكم إذا نزل بكم ابن مريم فأمكم أو قال :إمامكم منكم " [2] .

عن الزهري عن حنظلة الأسلمي قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنينهما [3].

وفي رواية عنه أيضا " قال : والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم من فج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما" [4].

أخرج الإمام البخاري بسنده عن طريق الليث عن يونس عن الزهري بهذا الإسناد بلفظ " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم "[5].

قال أبو جعفر الطبري "ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين.لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم بقوله﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عمان يشركون ﴾.

---

[3]- المرجع السابق ٢/٢٧٢ .

[1]- مسند الإمام أحمد ٢/٥٤٠ و ٥١٣.

[2]- مسند الإمام أحمد ٢/٥٤٠ و ٥١٣ صحيح مسلم كتاب الحج باب "إهلال النبي وهديه" ٢/٩١٥، وكنز العمال "عيسى عليه الصلاة والسلام" ١١/٥٠٣ .

[3]- تم تخريجه.

ويسرد الإمام ابن كثير كيفية رفع الله المسيح قائلا:"قال الضحاك كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم إثنا عشر رجلا، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة، فأخبر إبليس جمع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة، فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة ؟ فقال رجل : أنا [1] يا نبي الله ، فألقى إليه مدرعة من صوف وعمامة من صنوف، وناوله عكازه، وألقى عليه شبه عيسى، فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه ، وأما المسيح فكساه الله الريش ثم ألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة " [2] .

وذكر أيضا عن أبى بكر بن أبى شيبة بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهم قال:"لما أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء أخرج أصحابه وهم إثنا عشر رجلا من عين البيت، ورأسه يقطر ماء ، فقال لهم: أما إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشر مرة بعد أن آمن بي؟ ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم فقال أنا، فقال عيسى: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا، فقال عيسى اجلس ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال نعم أنت ذاك، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام. قال ورفع الله تعالى عيسى

---

[1] – قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجل آخر اسمه "سرجس" كتمته النصارى وهو الذي القي عليه شبه المسيح فصلب عنه، قال بعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح، وألقى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا"(البداية والنهاية لابن كثير ٢/٩٣) .

[2] – البداية والنهاية لابن كثير ٢/٩٣ .

من روزنة كانت في البيت إلى السماء، قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشر مرة بعد أن آمن به فتفرقوا ثلاث فرق...." الخ [1].

يقول السفارينى الحنبلي في شرح منظومته في العقيدة المسماة بـــ " لوامع الأنوار البهية:" قد أجمعت الأمة على نزول عبسى ابن مريم عليه السلام، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة وهو متصف بها " [2] .

ثالثا : <u>الإجماع</u> :

فقد تواطأت الأمة الإسلامية على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، ويحكم بشريعتنا الإسلامية الغراء، ولا يأتي بشريعة مستقلة حديثة. لأنه ليس هناك نبي بعد نبينا محمد ﷺ لما ورد عن الرسول ﷺ " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون ..." [3].

يقول محمد زاهد الكوثري في كتابه "نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة "، والتواتر في حديث نزول عيسى عليه السلام تواتر معنوي حيث تشاركت أحاديث كثيرة جدا. بينها الصحاح والحسان بكثرة، إن في التصريح بنزول عيسى مع اشتمال كل حديث منها

---

[1] – تفسير القرطبي ٢/٦٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٩٢ .

[2] – التصريح بما تواتر في نزول المسيح ٦٤ .

[3] – صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب " ما ذكر عن بنى إسرائيل " ٦/٣٨٦.

على معان أخرى. وهذا لا يستطيع إنكاره أحد ممن شم رائحة علم الحديث"[1].

ذكر المحدث المبارك فوري بعض الحكم من نزول عيسى دون غيره من الأنبياء عليهم السلام :-

- ◊ الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وإنه هو الذي يقتلهم.
- ◊ نزول عيسى عليه السلام لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غير التراب.
- ◊ أنه عليه السلام دعا الله تعالى لما رأى صفة محمد ﷺ وأمته أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعائه، وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان، ويجدد أمر الإسلام، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عليه السلام. [2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "وعيسى حي في السماء لم يمت بعد، وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب لا بشيء يخالفه ذلك"[3].

وأصدع بالقول إن الذين ينكرون رفع المولى جل وعلا عيسى عليه السلام ونزوله بدعوى أن الأحاديث الواردة في نزوله ورفعه أحاديث أحاد ليست متواترة.

أقول لهم إن معظم الأحكام الشرعية مستنبطة من أحاديث الآحاد، وثانيا أن الأحاديث المتواترة ضئيلة جدا.

وأستطيع القول إنهم ينكرون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتواترة الواردة في شان رفعه ونزوله، ويلحدون شرطا من أشراط

---

[1] - التصريح بما تواتر في نزول المسيح ٦٨ .

[2] - تحفة الأحوذى باب "ما جاء في نزول عيسى ابن مريم" ٦/ ٤٨٩ .

[3] - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ٢٠٣ .

الساعة الكبرى المعلومة من الدين بالضرورة. ذلك هدى الله يهدى به من يشآء من عباده.

﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾.